جامعة 8 ماي 1945 – قالمة (الجزائر)
كلية الحقوق والعلوم السياسية
قسم الحقوق

محاضرات في مادة:

المدخل للشريعة الإسلامية

لطلبة السنة الأولى جذع مشترك ليسانس حقوق (برنامج السداسي 2)

الأستاذ: **بومنجل فاتح الدين**

–9–

النُظم الاسلامية : نِظام الحُكم في الشريعة الاسلامية

(قواعد وواجبات)

النُظُم الاسلامية

نِظام الحُكم في الإسلام:

كان العرب في الجاهلية في فُرقة كبيرة واختلاف عظيم وحمل للسلاح في وجوه بعضهم وضياع للحقوق والمصالح الجماعية والفردية واعتداء على الأشخاص والأموال، ذلك لأنّهم لا يعرفون نظاما جامعا ولا خضوعا لسلطة موحدة، فجاءهم الاسلام ليأمرهم بالاجتماع تحت طاعة ولي أمرهم:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: "**لا اسلام بلا جماعة ولا جماعة بلا أمير ولا أمير بلا طاعة**"

وجاء الاسلام لينهى عن النزاعات والمعارضات والمواجهات وذلك طاعة لله تعالى وتحقيقا للمصلحة العامة للمجتمع:

قال الله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [سورة الأنفال– الآية 46]

واستبدل الاسلام العصبيات الجاهلية والقَبَليات الضيّقة بالمصلحة العامة للأمة ليعزّز فيهم الانتماء لما هو أسمى:

قال رسول الله ﷺ: "**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو لعصبة أو ينصر عصبة فقُتِل فقِتْلة جاهلية ومن خرج على أمتي يضرب بِرَها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لكل ذي عهد [يعني: كافر معاهد مسالم] عهده فليس مني ولست منه**" (رواه مسلم)

فشدّدت النصوص الشرعية وحذّرت من الرجوع إلى ما كان عليه الجاهلون في جاهليتهم:

قال رسول الله ﷺ: "**لا ترجعوا بعدي كُفارا يضرب بعضُكم بعضًا**" (البخاري ومسلم)

وجعل الاسلام خضوع الشعب المسلم للسلطة العامة في دولته المسلمة من الواجبات الشرعية الدينية ومن أسباب دخول المسلمين الجنّة:

قال رسول الله ﷺ: "**لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم، فاعبدوا ربّكم وأقيموا خمسكم وأعطوا زكاتكم وصوموا شهركم وأطيعوا ولاة أمركم تدخلوا جنّة ربّكم**" (سلسلة الأحاديث الصحيحة)

فكانت بالتالي من أخطر المعاصي وأكبر الشرور ومن باب الفتنة العظيمة التي تعمّ الأمة جميعا: المساس بالنظام العام في الدولة والذي يعتبر من ناحية الشرع خرقا في الإسلام:

قال رسول الله ﷺ: "**سيكون بعدي سلطان فأعزَوه من التمس ذلَه ثغر ثغرة في الإسلام فلم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت**" (حديث صحيح رواه ابن أبي عاصم)

وهذا الواجب في خضوع الشعب المسلم للسلطة العامة في دولته المسلمة إنّما يكون لوجه الله سبحانه وتعالى وابتغاءً لمرضاته اخلاصا له وحده لا شريك له وليس من أجل تحقيق مصالح دنيوية وليس من أجل إرضاء المخلوقات:

قال رسول الله ﷺ: "**ثلاثة لا يُكلّمهم الله يوم القيامة ولا يَنظر إليهم ولا يُزكّيهم ولهم عذاب أليم : ... رجل بايع إماما لا يبايعه إلا لِدُنيا فإن أعطاه منها وَفَّى وإن لم يُعطِه منها لم يَفِ**" (رواه مسلم)

وهذا الموقف الشرعي للشعوب المسلمة نحو السلطات العامة والحُكّام الشرعيين لا إفراط فيه ولا تفريط: فلا إفراط بتقديس الحُكّام واعتقاد عِصمتهم ولا تفريط بتكفيرهم أو محاربتهم أو قتالهم وإنّما بوسطية الإسلام في تحقيق المصالح العامة لكافة الأمّة والصبر على الأذى:

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي –رحمه الله–: *"قد قال ابن خياط إنّ بيعة عبد الله (ابن عمر ﷺ) ليزيد كانت كرها. وأين يزيد من ابن عمر؟ ولكن رأى بدينه وعلمه التسليم لأمر الله والفرار من التعرض لفتنة فيها من ذهاب الأموال والأنفس ما لا يخفى."* (الشاطبي: الاعتصام. 2\627)

ولهذا الغرض نصت الشريعة الاسلامية على قواعد شرعية تحقّق هذه المصلحة العامة في المجتمعات الاسلامية وتحفظ الأمن العام وتضمن الاستقرار فيها، كما فرضت من أجل ذلك واجبات على عاتق كل فرد مسلم من الشعب.

قال الشيخ ابن باديس –رحمه الله–: *"فإنّ ممّا نعلمه ولا يخفى على غيرنا أنّ القائد الذين يقول للأُمّة: إنّك مظلومة في حقوقك وإنّني أريد إيصالك إليها! يجد منها ما لا يجد مَن يقول لها: إنّك ضالّة عن أصول دينك وإنّني أريد هدايتك".*

(أ) القواعد الإسلامية لنظام الحُكم المُحقّقة للمصلحة العامة والأمن في المجتمع:

القواعد الشرعية التي يخضع لها نِظام الحُكم في الشريعة الإسلامية والتي تهدف إلى تحقيق أمن المجتمع واستقرار نظمه السياسية (مع دليل شرعي على كل منها) هي التالية:

1- وجوب عقد البَيْعة لولي الأمر وتحريم نقضها:

قال رسول الله ﷺ: "**مَن خلع يدا مِن طاعة لقي الله يوم القيامة لا حُجة له ومَن مات ليس في عنقه بَيْعة مات ميتة جاهلية**" (حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه)

2- جواز تولي الحُكم للمفضول مع وجود أفضل منه:

قال رسول الله ﷺ: "**اتقوا الله وعليكم بالسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد حبشي**" (حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي والدارمي) وكذلك إجماع الصحابة على جمع الكلمة على شخص واحد والتسليم له وإن وجد أفضل منه.

3- الصبر على ظُلم الحُكّام واستئثارهم بالأموال والمناصب:

قال رسول الله ﷺ: "**تسمع وتطيع للأمير وإن ضُرب ظهرك وأُخذ مالك**" (حديث صحيح رواه مسلم)

4- تحريم الخروج على الحاكم الظالم بالثورات والانقلابات:

قال رسول الله ﷺ: "**سيكون بعدي أمراء فتعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع**" **قالوا: أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال رسول الله ﷺ: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**" (حديث صحيح رواه مسلم)

(ب) الواجبات الشرعية للشعب نحو السُلطة العامة في الدولة:

وما أوجبته الشريعة الإسلامية على عاتق كل مواطن مسلم في مجتمعه إزاء دولته (مع دليل شرعي على كل واجب) هو ما يلي:

1- واجب الإخلاص:

قال رسول الله ﷺ: "**الدين النصيحة**" **قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**" (حديث صحيح رواه مسلم)

قال رسول الله ﷺ: "**ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله ومناصحة ولاّة الأمر ولزوم جماعة المسلمين**" (حديث صحيح رواه مسلم)

قال النبي ﷺ: "**ثلاثة لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة ولا يَنظر إليهم ولا يُزكِّيهم ولهم عذاب أليم:..رجل بايع إماما لا يبايعه إلا لِدُنيا فإن أعطاه منها وَفَّى وإن لم يُعطِه منها لم يَفِ**" (حديث صحيح رواه مسلم)

2- واجب الإحترام:

قال رسول الله ﷺ: "**مَن أهان السلطان في الأرض أهانه الله**" (حديث حسن رواه الترمذي)

قال رسول الله ﷺ: "**لا تسبّوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب**" (حديث صحيح رواه ابن أبي عاصم)

قال رسول الله ﷺ: "**سيكون بعدي سلطان فأعزَوه من التمس ذلَه ثغر ثغرة في الإسلام فلم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت**" (حديث صحيح رواه ابن أبي عاصم)

3- واجب السمع والطاعة بالمعروف في غير معصية الخالق:

قال النّبي ﷺ: "**مَن يُطيع الأمير فقد أطاعني ومَن يعصِي الأمير فقد عصاني**"(حديث صحيح رواه مسلم)

قال رسول الله ﷺ: "**مَن كره مِن أميره شيء فليصبر عليه فإنه ليس أحد مِن النَاس خرج مِن السلطان شبرا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية**" (حديث صحيح رواه مسلم)

قال رسول الله ﷺ: "**ألا مَن ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئا مِن معصية الله فليكره الذي يأتي مِن معصية الله ولا ينزع يدا مِن طاعة**" (حديث صحيح رواه مسلم)

4- واجب النصح سرا دون الفضح علنا:

قال رسول الله ﷺ: "**مَن أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يُبدِ له علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان أدَى الذي عليه**" (حديث صحيح رواه أحمد)

5- واجب التعاون على البر والتقوى وأداء الواجبات:

قال رسول الله ﷺ: "**مَن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**" (حديث صحيح رواه مسلم)

عن وائل بن حجر رضي الله عنه: "**قُلنا: يا رسول الله، أرأيت إن كان علينا أُمَراء يمنعونا حقنا ويسألونا حقهم؟ قال رسول الله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمّلوا وعليكم ما حُمّلتم**" (حديث صحيح رواه مسلم)

قال النبيﷺ:"**إنها تكون بعدي أَثَرة وأمور تنكرونها...تُؤدّون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**" (حديث صحيح رواه البخاري ومسلم)

والله أعلم
ومن المقصود وحده
الأستاذ: بومنجل فاتح الدين